والثورة الفلسطينية، عندما تصر على تسمية المجابهتين العسكريتين اللتين تمّتا ضد العدو الاسرائيلي عامي ١٩٧٨ و١٩٨١ بالحربين، ثم ترقمهما في سياق الحروب العربية الاسرائيلية، لا تستهدف الزهو والانتشاء، وهما حق لها على أية حال، بقدر ما تريد وتجهد لتعكس في الساحة السياسية ما أنجزته في ميدان القتال. وليس هذا حق مشروع لها وحسب، وإنما هو واجبها، وتكون مقصرة ومسؤولة لو تخلت عن القيام بـه والسعي لتحقيقه بكل المتاح لديها من وسائل.

ولا أظن أن أي حليف لهذه الثورة يأخذ عليها ذلك أو يرى في مثل هذا التحرك ما يثير خلافاً. وإن كل ما حدث، من غمز ولمز وهمس وصراخ، لا يستند إلى ما يبرره، ولو كانت قنوات الاتصال بين قوى التيار الثوري الواحد كما يتمناها كل عربي مخلص من السعة والدقة، لما كان شيء مما قيل وسمعنا.

ويبدو، في هذا المجال، أنه لابد من بعض الكلمات الصريحة، بعد إقرار بديهيات طالما أقرينا بها وكرّرناها، ومع ذلك ينساها البعض تحت وطأة الانفعال أحياناً، أو ربما يتناساها.

أول هذه البديهيات أن الصراع العربي ضد العدو الصهيوني لن يحسم لصالح العرب إلا بقوة العرب، وبالتالي فعملية التحرير هي مهمة قومية عربية ليس بمقدور أي قطر أو تنظيم التصدي لها بمفرده.

وثاني هذه البديهيات، أن العرب، رغم نزوع الجماهير العارم للوحدة، ما زالوا في عهود التجزئة الاقليمية، وثمة تفاوت في ممارساتهم الوحدوية. ولذلك، لابد لنا واقعياً، من استثمار ما هو قائم من تحالفات وتوطيدها، مع السعي الدائب لتوسيع دائرة التحالفات هذه.

وثالث هذه البديهيات، أن تثبيت الشخصية الوطنية الفلسطينية، وفي هذه المرحلة النضالية بالذات، ضرورة قومية عربية تستهدف الرد على المؤامـرة الصهيونيـة التي استهدفت بدورها فلسطين والفلسطينيين في محاولة لشطبهما من التاريخ والجغـرافيا كخطوة أولى لشطب بقية العرب. إن تثبيت الشخصية الـوطنية الفلسطينيـة في وجه المؤامـرة الصهيونيـة هـو المقدمـة الضروريـة والأساسيـة لضمان عـروبـة فلسطـين والفلسطينيين. فليس بين شعوب (إذا جاز التعبير) العرب من يواجه مثل هذه التجربة المصيرية، لأنها فعلاً معركة «وجود» وليست معركة حدود.

ويبدو، وبكلمات صريحة، أنه إما أن يكون هناك خلاف بين أبناء التيار الواحد حول هذه البديهيات، وإما أنه لا خلاف عليها ولكننا لانحسن ممارسة مضامينها، ولا سيما في المجال الإعلامي الطويل اللسان، وبخاصة تحت وطأة الانفعالات التي تفرضها بعض الأحداث القاسية، مثل الحروب.

ولكي لا نجلد أنفسنا أكثر من اللازم، علينا أن نعترف بأن الظروف الموضوعية التي نحياها، كأمة مجزأة تداعبها أحلام الوحدة، فرضت على المسؤول العربي نوعاً من